ULUM HADITH
RESEARCH CENTER

Journal of Hadith Studies
Vol. 2 No. 2(December 2017) e-ISSN: 2550-1448

القيادة في القران والسنة: أركانها ودعائمها

(Leadership in the Quran and Sunnah: Its Principles and Pillars)

Karim Touré*, Mohd. Yusuf Ismail, Amiruddin Mohd Sobali, Mohd `Adlan B Mohd Shariffuddin, Zamrie Ibrahim @ Musa
Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia

Abstract
This study is an attempt by researchers to find out the concept of leadership in Islam, and its different types and pillars. The study found that there are three types of leadership, starting from the supreme leadership, which is the head of the state follow by ministers, governors and parents at home. There is no least responsibility in these three types of responsibility though the head of the state carry the heaviest load, the three type of responsibility are interrelated, the supreme leadership is a divine gift only to a few people and not all are capable of assuming it. The head of the state should have a degree of knowledge and enjoy physical health.

Keywords: leadership, responsibility, pillars

الملخص
هذه الدراسة محاولة من الباحثين معرفة القيادة في الإسلام أنواعها ودعائمها، وقد توصَّلت الدراسة إلى أنَّ أنواع القيادة ثلاث أنواع، بدءاً بالقيادة العُظمى أو رئاسة الدولة وما دونها من القيادات كالوزراء والمدراء والقيادة في البيت والأسرة، فأعلاها وأثقلها حِملاً قيادة الدولة والشَّعب، وليس فيها أقل أو أخف فالأنواع الثلاث مترابطة بعضها ببعض، والقيادة من النوع الأول موهبة إلهية لا تصلح لجميع أفراد بل القلائل منهم، والقائد ينبغي أن يكون على درجة من العلم ومتمتِّعا بالصحة البدنية.

كلمات الافتتاحية: القيادة، المسؤولية، الأركان.

Article Progress

Received: 31 Mac 2017
Revised : 5 June 2017
Accepted: 14 June 2017

* Karim Touré, Faculty of Quranic and Sunnah Studies, Universiti Sains Islam Malaysia
Email: karim.toure@usim.edu.my

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصَّلاة والسَّلام على رسوله المصطفى محمَّد بن عبد الله سيِّد الخلق أجمعين، وعلى آله الطيِّبين الطّاهرين وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. وبعد:

القيادة أمر وُجدت مع وجود الإنسان الأوَّل في السَّماء قبل هبوطه على الأرض، ﴿ وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾. البقرة: 35. فالله سبحانه وتعالى لم يقل "وقلنا اسكنا الجنة" بل قال ﴿ وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ... ﴾. ليدلك على أنّ الأصل هو آدم، وزوجه تابعة له، فالقيادة في الجنة حيث سيسكنان لآدم وزوجه تابعة له في المسكن.

﴿ فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾. طه: 117 – 119.

لم يقل الله تعالى: "إنَّ لكما ألا تجوعا ولا تعرا وتظمئا وتضحيا" بل أفرد الخطاب و لم يثنيه ما يعني أنَّها تابعة له، فما يصيبه يصيبها من جوع وعطش. والآية كانت عن الجنة أي إنَّ كل هذه الأمور لن تصيبك أنت وزوجك وأنتما في الجنَّة، أمّا إذا خرجتما من الجنة بعصيانك لي وطاعتك لإبليس عدوّك الذي نبَّهْتُك عن عداوته لكما وعصيتني فستشقى وستصيبك كل هذه الأمور من جوع وعطش وغيرهما من منغصِّات الحياة على الأرض وأنت ستكون المسؤول عنها.

والقيادة تكون على جميع المستويات بدأً من أعلاها أي الإمامة الكبرى أو العظمى – الخليفة الملك الأمير السلطان الرئيس – ماراً بالمدير في إدارته أو شركته والمعلِّم في مدرسته ومنتهياً بالأب في أسرته والمرأة في بيتها.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، -قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ- وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ[1] ".

ولعل التي تعنينا في دراستنا هذه مِن أمر القيادة، هي القيادة الكبرى من الرئاسة وما درج تحتها من الإمارة أو الوزارة وما لحقها من المسؤوليات الكبرى في الدولة، وستتكوَّن دراستنا من ثلاث مباحث وهي **المبحث الأوَّل:** أنواع القيادة. **المبحث الثاني**: هل صفة القيادة صفة مكتسبة أي هل المرء يكتسبها من خلال مزاولته لها حتى يكتسب الخبرة الكافية ليتولى بعدها الإمامة الكبرى أم هي موهبة إلهية يهبها الله لمن يشاء من الناس. **المبحث الثالث:** أركان القيادة ودعائمها. وسوف

[1]البخاري، محمَّد بن إسماعيل. 1422ه/ 2002م. الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيّامه. الطَّبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الصَّفا. الحديث رقم 893، 5188، 2558، 2500، 2751، 2554. ومسلم، مسلم بن الحجاج. 1420هـ/ 2000م. صحيح مسلم. ط 1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. الحديث رقم 1829.

نعتمد كليًّا دعماً لوجهات نظرنا فيما نذهب إليه مِن الآراء على الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، وعلى الله قصد السَّبيل.

المبحث الأوَّل: أنواع القيادة

القيادة أنواع ثلاثة أو ثلاث درجات مختلفة **أولاهما**: الإمامة الكبرى أو العظمى – الخليفة الملك الأمير السلطان الرئيس. **ثانيهما**: ما دون الأولى من المسؤوليات الكبرى في الدولة كالوزير والمدير وغيرهما من المسؤوليات التي يتم تعيين صاحبها مِن قِبل الخليفة أو الملك أو الأمير أو السلطان أو الرئيس أو أحد الأشخاص التابع للسُّلطة العليا. فهذه وإن كانت مهمة في سير الدولة، والتفريط فيها يمكن أن يعرقل تقدّمها إلا أنَّها بلا أدنى شك دون أهمية القيادة الكبرى التي يؤدِّي الإهمال والتفريط فيها بالدولة إلى الهاوية.

ثالثهما: الرَّجل في أهل بيته ومال أبيه والمرأة في بيت زوجها والخادم في مال سيِّده، ولكن هذه المسؤوليات مسؤوليات معنوية وليست رسمية، فهي تقع على عاتق كل فرد من أفراد المجتمع على جميع المستويات ولا تنتظر التعيين مِن أحد إلا الضمير، وليس كذلك النوع الأوَّل والثاني اللذان يكون تعينهما رسميّاً، وإن كانت هذه المسؤوليات بأنواعها الثلاثة في نهاية المطاف لا تختلف كثيراً عن بعضها البعض عند المسلم، فالكل يلعب دوره في بناء المجتمع والدولة على مستواه صغيراً كان أو كبيراً، فهذا معنى قوله ﷺ "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، فالفرد نواة المجتمع، فالملك أو الأمير أو السلطان أو الرئيس إنَّما هو جزء من المجتمع قبل أن يصبح ما أصبح مِن ملك أو أمير أو سلطان أو رئيس، فإذا فرط في تربيته أبواه المسؤولان عنه في صغره، فأنَّى له أن يصبح قائداً صالحاً يحسن إدارة البلاد الذي على عاتقه حين يتولّى قيادة الدولة؟.

المبحث الثاني: هل صفة القيادة مكتسبة أم موهبة إلهية؟

إذا أمعنّا النظر في الآيات والأحاديث والآثار عن السَّلف التي تذكر القيادة النوع الأوَّل يمكن أن نستنبط من خلالها أنَّها موهبة إلهية وليست صفة مكتسبة يمكن لكل فرد في المجتمع أن ينالها من خلال الخبرة. والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾. البقرة: 246-247.

أي: لما طلبوا من نبيِّهم أن يعيِّن لهم مَلِكاً منهم فعيَّن لهم طالوت وكان رجلاً من أجنادهم و لم يكن من بيت الملك فيهم؛ لأنَّ الملك فيهم كان في سبط يهوذا، و لم يكن هذا من ذلك السبط فلهذا: ﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ أي: كيف يكون مَلِكاً علينا ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ أي: ثم

هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك، فأجابهم النَّبي قائلاً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم. يقول: لست أنا الذي عيَّنته من تلقاء نفسي بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ أي: وهو مع هذا أعلم منكم، وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبراً في الحرب ومعرفة بها أي: أتم علماً وقامة منكم. ثم قال: ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي: هو الحاكم الذي ما شاء فعل ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه؛ ولهذا قال: ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾. أي: هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء، عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه.[2] فطالوت مع فقره كان له مؤهلات الملك ما جعل اختيار الله يقع عليه ليكون ملكاً، وهذا الذي يصبح ملكاً بأمر مِن الله تعالى ليس من الضرورة أن يكون أعلم القوم أو أتقاهم، بل إنَّ مؤهلات القيادة شيء وكثرة العلم وقوَّة الإيمان والأسبقية شيء آخر، وإن كان لا بد أن يكون مؤمناً ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ... ﴾. النساء: 59. وشيء مِن العلم، فالعلم مِن دعائم الملك و مقوماتها كما سيأتي الكلام عليه لاحقاً.

كان أبو ذر ﷺ مِن السَّابقين إلى الإسلام، وكان يُوازي ابن مسعود في العلم[3].

"عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: "ما أقلت الغبراء ولا أظلّت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذرٍّ".

فأبو ذر ﷺ مع فضله وسابقته في الإسلام وعلمه وورعه لم يكن رجلاً قيادياً، لم يكن مناسباً لتولي الإمارة والقيادة.

"عن أبي ذر ﷺ قال: "قلتُ يا رسول الله ألا تستعملني"، قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: يا أبا ذر إنَّك ضعيف وإنَّها أمانة وإنَّها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها[4].

"وعنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ"[5].

وعمرو بن العاص ﷺ الذي تأخَّر إسلامه حتى قبل فتح مكة في العام الثامن للهجرة[6] كان النَّبي ﷺ يقرِّبه ويُدنيه لمعرفته وشجاعته، استعمله على عُمان، فمات ﷺ وهو أميرها. نظر إليه عمر بن الخطاب ﷺ ذات مرَّة وهو يمشي، فقال ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً.[7]

و أسامة بن زيد رضي الله عنهما مع حداثة سنِّه أمَّره النَّبي ﷺ على جيش فيه خِيرة الصَّحابة وكبارهم من البدريين المهاجرين والأنصار ﷺ .

[2] ابن كثير. 1413ه/1993م. تفسير القرآن العظيم. د.ط. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. ج/ 285.

[3] ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ١٠٩/٧.

[4] مسلم، **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب كراهة بغير ضرورة، رقم الحديث: ١٨٢٥.

[5] مسلم **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب كراهة بغير ضرورة، رقم الحديث: ١٨٢٦.

[6] ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ١٠٩/٧. 538/4.

[7] المرجع السابق 538/4.

"عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:بعث النَّبي ﷺ بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد ﷺ فطعن بعض الناس في إمارته فقال النَّبي ﷺ: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإنَّ هذا لمن أحب الناس إلي بعده[8]"، أي: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه –زيد بن حارثة ﷺ – أي إن طعنتم فيه فأخبركم بأنَّكم طعنتم من قبل في أبيه والتقدير إن تطعنوا في إمارته فقد أثمتم بذلك لأن طعنكم بذلك ليس حقاً كما كنتم تطعنون في إمارة أبيه وظهرت كفايته وصلاحيته للإمارة وأنَّه كان مستحقاً لها فلم يكن لطعنكم مستند فلذلك لا اعتبار بطعنكم في إمارة ولده ولا التفات إليه. قيل إنما طعنوا فيه لكونه مولى[9].

أمّا عن زيد بن حارثة والد أسامة رضي الله عنهما، فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، "ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلا أمَّره عليهم، ولو بقي لاستخلفه"[10].

وقد جعله رسول الله ﷺ وهو المولى أميراً على جعفر بن أبي طالب ﷺ النسيب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ في جيش غزوة مؤتة.

"عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أمّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ : إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة[11]، ولعل اختيار رسول الله ﷺ لأسامة ﷺ بجانب كونه خليقاً للإمارة، أن يؤدِّب الروم ويأخذ ثأر أبيه زيد ﷺ الذي استشهِد في غزوة مؤتة، فأسامة ﷺ خير من كان يقوم بهذا العمل مع أنَّه كان في التاسعة عشرة مِن عمره.

فالضعف الذي ذكره ﷺ في أبي ذر ﷺ ليس هو في البنية الخِلقية ولا ضعف الإيمان، ولكنَّه الضعف في أداء متطلبات الإمارة والقيادة، مِن صبر على الناس والتحمُّل. قال النووي رحمه الله:

"هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية"[12].

فلما علِم رسول الله ﷺ مِن أبي ذر ﷺ هذا الضعف في هذه الناحية منعه أن يتولّى الإمارة، وهذا لا يقدح في إيمانه، فقد تولّى الإمارة كثير مِن الصَّحابة ﷺ مَن هم دون أبي ذر ﷺ في الفضل والعلم والأسبقية في الإسلام، ولكن الإمارة والقيادة بعد توفيق الله وسداده هي الحكمة والفن والمهارة في التعامل مع الناس.

وهذا ما وُفِّق له معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما في تعامله مع الناس وهو دون أبي ذر ﷺ في الفضل والأسبقية حتى دانت له الشام عشرين عاماً كأمير لها وعشرين عاماً كخليفة للمسلمين، أي أربعين عاماً يحكم الناس بالديبلوماسية والذكاء ومهارة وحزم حتى اشتهر ما يُعرَف بشعرة معاوية.

---

[8] البخاري، الصحيح، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، رقم الحديث: ٣٧٣٠.

[9] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٨٠/١٣.

[10] ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤٩٦/٢.

[11] البخاري الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، رقم الحديث: ٤٢٦١.

[12] النووي، شرح صحيح مسلم، ٤١٤/١٢.

يُروى أنَّ أعرابيًا سأل معاوية بن أبي سفيان ﷺ: يا أمير المؤمنين، كيف حكمتَ الشام عشرين سنة أميرًا، ثم حكمتَ بلاد المسلمين عشرين سنة خليفةً للمسلمين؟ فقال معاوية ﷺ: إنِّي لا أضع لساني حيث يكفيني مالي، ولا أضع سَوْطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سَوْطي؛ فإذا لم أجد من السيف بُدًّا ركبتُهُ؛ ولو أنَّ بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت؛ كانوا إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها[13].

هذا هو الديبلوماسية في التعامل مع الناس، فـــإنَّما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة[14]" أي: في اختلاف حالاتهم وتغيّر صفاتهم، فإذا لم يفقه ذلك القائد عن الناس يصبح ضرره بالدين والدولة والناس أكثر مِن نفعه وإحسانه، فالله يعطي على الرِّفق ما لا يعطي على العنف وعلى ما سواه، وما كان الرِّفق في شيء إلا زانه، ولا نزع الرفق من شيء إلا شانه.

ففذلكة القول في هذا الأمر هي أنَّ صفة القيادة النوع الأوَّل موهبة إلهية يعطيها من يشاء مِن عباده، ولا يُكتسب بالخبرة وطول الممارسة، أمّا القيادة النوع الثاني فتُكتسب بالخبرة وطول الممارسة.

المبحث الثالث: أركان القيادة ودعائمها.

إنَّ لكل بنيان قواعد يقوم عليها ويستقوي بها، وقواعد الدولة وأركانها التي بها تستقوي هي قيادتها، فإن صلحت القيادة قويت الدولة، وإن فسدت القيادة خرَّ سقف الدولة من فوقهم. فأركان الدولة هي قيادتها وأركان القيادة هي الصبر واليقين، فبهما تُنال الإمامة في الدين، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[15]. السَّجدة: 24.

سأل رجل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، فقال: يا أبا عبد الله أيُّهما أفضل للرَّجل أن يمكَّن أو يبتلي؟ فقال الشافعي: لا يمكَّن حتى يبتلى فإنَّ الله ابتلي نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكَّنهم فلا يظن أحد أنَّه يخلص من الألم البتة.[16]...

وهذا القول للإمام الشافعي رحمه الله تعالى يُفهم من قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾. النور: 55. أي: أنَّ الله تعالى مكَّن الصَّحابة ﷺ في الأرض بعد أن ابتلاهم بالخوف وغيره.

"عن خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ ﷺ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا: لَهُ أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ

[13]ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. بيروت: دار الكتب العلمية. ص 72.

[14] البخاري، الصحيح، كتاب الرقائق، باب رفع الأمانة، رقم الحديث: ٦٤٩٨.

[15]ابن تيمية، 1422هـ / 2002م.قاعدة في الصبر. د.ط. المدينة المنورة: جامعة الإسلامية المدينة المنورة. ص 94.

[16] ابن القيم، 1399هـ/1979م. الفوائد. الطبعة الأولى،بيروت: دار النفائس. ص269.

ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" [17].

وهذا الابتلاء سنَّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً ولن تجد لسنَّة الله تحويلاً. ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾. البقرة: 214. ﴿ الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾. العنكبوت: 1 – 3.

أمّا دعائم القيادة النوع الأوَّل، فعلاوة على ما سلفنا القول بأنَّها موهبة إلهية ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ... ﴾. آل عمران: 26. فإنَّ مما يقوي القائد على أداء مهامه هو ما ذكره الله تعالى في طالوت بعد أن اصطفاه على بني إسرائيل ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ... ﴾. ثم قال: ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ... ﴾. فالعلم وقوَّة الجسم مما يساعدان القائد في أداء مهامه كالقائد.

ففي ذلك يقول ابن كثير رحمه الله: "...وهو مع هذا أعلم منكم، –أي طالوت– وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبراً في الحرب ومعرفة بها أي: أتم علماً وقامة منكم. ومن هاهنا ينبغي أن يكون المَلِك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه"[18].

ونبي الله يوسف عليه السلام أدار بعلمه أزمة المجاعة في مصر والقرى المجاورة لها إدارة جيِّدة وعبقرية فذَّة ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾. يوسف: 55.

فالعلم مِن دعائم القيادة الحكيمة الرَّشيدة والإدارة القويَّة المتميِّزة. ولما كان أنبياء الله ورسله عليهم السَّلام هم قادة مجتمعاتهم التي أُرسلوا إليها، فإنَّ الله تعالى زوَّدهم بالعلم الذي ينير لهم الطريق في دعوتهم إلى الله تعالى، يقول الله تعالى عنهم :

قال في سيِّد الأنبياء والمرسلين محمَّد ﷺ: ﴿...وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. النِّساء: 113.

وفي كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. القصص: 14.

وفي عيسى عليه السلام قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. آل عمران: 48.

وفي يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. يوسف: 22. وفي نبيه لوط عليه السلام قال: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ

[17] البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، رقم الحديث: 3612 وكتاب الإكراه، رقم الحديث 6943.

[18] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. 285/1.

سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾. الأنبياء: 74. وفي نبيه داود عليه السلام: ﴿...وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ...﴾. البقرة: 251. وقال في داود وسليمان عليهما السَّلام ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾. الأنبياء: 78 – 79.

الخاتمة

القيادة أو المسؤولية أمانة على عاتق كل فرد من أفراد المجتمع وسوف يُسأل عنها أمام الله يوم القيامة، فكلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته. ولكن المسؤوليات تختلف من فرد لآخر، وهي ثلاث أنواع، فأعلاها وأثقلها حِملاً قيادة الدولة والشَّعب، وليس فيها أقل أو أخف، إذ أنَّ هذه الأنواع الثلاثة من المسؤوليات مترابطة بعضها ببعض، فالتفريط في أداء مهمَّة أي نوع من هذه الأنواع الثلاثة يؤدِّي إلى كارثة في المجتمع وفي الدولة، فهي كالسِّلسلة أو الحلقة فلا تسمَّى بسلسلة أو حلقة إلا إذا كانت مرتبطة ببعضها البعض فإذا قُطِعت تبعثرت أجزائها، فكذلك الدولة أو الشعب، فإذا أُهمِل أي نوع من هذه الأنواع الثلاثة انفكَّت الدولة والشَّعب. فالقائد الذي يزاول مَهامه في النوع الأول – القيادة العُظمى – إنّما بدأ حياته في النوع الثالث أي في بيته مع أسرته، فإذا لم يتغذّ في هذه الفترة من النوع الثالث غذاءً يستمد منه ويستلهم منه ما يعينه أثناء أداء مهامه في النوع الأوَّل جاع وضاع وجاعت وضاعت معه الدولة والشَّعب. والقيادة من النوع الأول موهبة إلهية لا تصلح لجميع أفراد المجتمع بل أفراد قلائل في المجتمع يزاولون هذا المهام الثقيل يعينهم عليه القياديون من النوع الثاني والثالث في المجتمع، ويكون على درجة من العلم ومتمتِّعاً بالصِّحة البدنية.

وصلى الله على البشير النَّذير محمَّد بن عبد الله الصَّادق الأمين وعلى آله الطيِّبين وأصحابه الأخيار ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم يقوم الناس لربِّ العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. 1422هـ / 2002م.قاعدة في الصبر. د.ط. المدينة المنورة: جامعة الإسلامية المدينة المنورة.
3. ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الكتب العلمية.
4. ابن القيم، محمَّد بن أبي بكر بن أيوب، 1399هـ/1979م. الفوائد. الطبعة الأولى، بيروت: دار النفائس.
5. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. 1413ه/1993م. تفسير القرآن العظيم. د.ط. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
6. البخاري، محمَّد بن إسماعيل، ١٤٢٢ه/ ٢٠٠٢م، الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيَّامه، الطَّبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الصَّفا.
7. حنبل، أحمد، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، المسند، تحقيق: محمَّد سليم إبراهيم سمارة وزملائه، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي.
8. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط٣، الرياض: مكتبة دار السلام.
9. ..... ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. الإصابة في تمييز الصحابة. الطبعة الأولى بيروت: دار الكتب العلمية.
10. مسلم بن الحجاج، ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م. صحيح مسلم، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء العربي.
11. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، المنهاج شرح صحيح مسلم، ط٢. بيروت: دار المعرفة.
12. Sobali, A. M. (2016). التحفيز في السنة النبوية رغبة ورهبة أنواعه ودلائل رحمته للأمة. *Journal Of Hadith Studies*, *1*(1).